

دراسة تحليلية للمضامين القيمية الحوارية الحضارية والثقافية في النصوص الأدبية بنماذج من كتب اللغة العربية بمرحلة الثانوي

الإعدادي بالمغرب

عمر بيشو

كلية علوم التربية - الرباط

جامعة محمد الخامس - السويسي

يوجد تدرج معكوس في تقديم المضامين القيمية الحوارية الحضارية والثقافية، كلما ارتقينا من صف دراسي إلى آخر، وهذا أمر مخالف لتوجه الخبراء في تدبير المناهج. الكلمات المفتاحية: قيم الحوار الحضاري والثقافي، السرد الأدبي، النظام التربوي المغربي.

1. المقدمة

تستمد هذه الدراسة أسسها النظرية، من فكرة المساهمة في تسليط الضوء على بعض إشكالات رهن الشأن الإنساني، في بعده المحلي والعالمي، فيما يعرف بإشكال الهوية والكونية، وعلاقتها بالعمولة؛ وذلك في إطار تفعيل فكرة دور التعددية والتنوع الثقافي والتحالف الحضاري، ودور التربية أساسا في تعزيز القيم الإنسانية الكونية الأساسية المشتركة، تحقيقا للتنمية البشرية. وذلك، باعتبار أن البلدان التي صنفت أنظمتها التربوية في أعلى المراتب، روعي في تدبير مناهجها اعتبار قيم الحوار الحضاري والثقافي؛ حيث أشار وزراء التربية الأوروبيون كذلك، إلى أهمية اتخاذ إجراءات من شأنها أن تحسن التفاهم المتبادل، ما بين الجماعات الثقافية و/أو الدينية عن طريق التربية المدرسية، بموجب مبادئ مشتركة للأخلاق والمواطنة الديمقراطية كما جاء في البيان الختامي [1]؛ وقد عملت العديد من الدول العربية والإسلامية، ومنها المغرب، على إصلاح المنظومة التربوية في

الملخص-هدفت الدراسة إلى تحديد مضامين قيم الحوار الحضاري والثقافي التي ينبغي أن تشمل عليها كتب اللغة العربية في نصوصها السردية الأدبية بالمستويات الثلاث من المرحلة الثانوية الإعدادية في النظام التربوي المغربي، وتحليل تلك الكتب بغية التعرف على مدى ما يتوافر فيها من مضامين قيمية حوارية حضارية وثقافية، باعتبارها حاملة للأدب لهذه القيم. ولتحقيق ذلك استخدم الباحث أسلوب تحليل المحتوى الذي استعدى توظيفه إعداد أداتين: الأولى (استبيان المضامين القيمية الحوارية الحضارية والثقافية) التي تولت حصر المضامين اللازمة للتلاميذ، والأداة الثانية تمثلت في (استمارة تحليل المحتوى) التي أعدت في ضوء الأداة الأولى وتولت مهمة تحليل النصوص السردية الأدبية بنماذج من كتب اللغة العربية بالمغرب، وبعد القيام بعملية التحليل توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، نوجزها في الآتي:

قائمة بالمضامين القيمية الحوارية الحضارية والثقافية اللازمة لتلاميذ مستويات المرحلة الثانوية الإعدادية بالمغرب، احتوت على (54) مضموناً قيماً حوارياً حضارياً وثقافياً. اشتملت النصوص الأدبية السردية بنماذج من كتب اللغة العربية التي تم تحليلها على البعض من المضامين القيمية الحوارية الحضارية والثقافية التي وردت في القائمة، في حين غابت أخرى، وإن اختلفت درجة توافرها من مستوى دراسي إلى آخر، ومن كتاب إلى آخر. بلغ مجموع تكرارات المضامين القيمية الحوارية الحضارية والثقافية في كتب اللغة العربية التي خضعت للتحليل (90) مرة.

وراء جديد هذه المنظومة القيمية؟.

وما دام المفكر الحضاري روجي جارودي يؤكد على أن "وحدة الإنسانية المرتقبة، سوف لن تنشأ بالعنف أو بالقوة العسكرية، ولكن بوسائل السلام والاقتصاد والثقافة والإيمان" [2]، وعلى اعتبار أن العنصر الأساسي لأي ثقافة أو حضارة هي اللغة، وأن "المفتاح للتفاعل الحيادي مع ثقافة ما -حسب ماكاريفيف - يكمن في خلق آفاق ميسرة لإقامة الحوار البناء معها، دون السعي، بقصد أو بغير قصد، إلى إضفاء أي شيء من شأنه تشويه الهوية الثقافية، حيث الوسيلة الأفضل لتحقيق هذا الهدف هي التركيز على المنتج الإبداعي للآخر وإسهاماته على الصعيد الإنساني" [5] ؛ فالى أي حد يمكن أن تسهم وسيلة الثقافة الأدبية مثلا، في تطوير وإغناء هذه القيم الحضارية والثقافية الموجهة لراهن السياسة التربوية المغربية مع مطلع الألفية الجديدة؟.

بعبارة أخرى، إلى أي حد استطاع المنهاج التربوي المغربي في مجال اللغة العربية أن يضم بين ثناياه نصوصا أدبية تترجم التجربة الإنسانية في بعديها المحلي و العالمي، آخذة بعين الاعتبار استندماج قيم الحوار والإبداع، ما يفتح الأفق أمام التلاميذ لمعرفة الآخر، بفهم واع، وإطلاع على ثقافة حضارة أخرى، دون استعلاء حضاري، وبعيدا عن التوقع حول الذات، أو التحصين الهوياتي المفرط؟.

مسلمات الدراسة

ينطلق الباحث في تحليله لنماذج من النصوص الأدبية في

كتب اللغة العربية المقررة بهذه المرحلة، من المسلمات الآتية:

1. المدرسة مؤسسة اجتماعية نظامية مسئولة مسئولية كاملة مباشرة - مع غيرها من المؤسسات.
2. الاجتماعية - عن تربية الناشئة وإكسابهم القيم التي تجعلهم مواطنين صالحين لأنفسهم ولمجتمعاتهم ولأمتهم ولل بشرية جمعاء.
3. الكتاب المدرسي وسيلة تعليمية مهمة في العملية

إطار إصلاح شامل في السنوات الأخيرة، وتم التركيز على التعليم باعتباره عنصراً فعالاً في عملية الإصلاح لمواجهة فكرة صراع الحضارات والثقافات، وتباينها وعدم إمكانية تعايشها.

كما تستمد هذه الدراسة، مرجعيتها النظرية كذلك، من خلال أهمية الثقافة كمدخل من مداخل تحقيق "الوحدة الإنسانية المرتقبة" - كما يذهب جارودي [2] - ومن أهمية تدريس الأدب على وجه الخصوص، كما يؤكد طودوروف [3]، في ضرورة تفعيل وظائفه في وسائط عمليتي التعليم والتعلم، باعتبار حاملته التلقائية والنوعية للقيم الحوارية الحضارية والثقافية، وقدرته المتميزة على جذب وشد انتباه المتعلم، في مقابل النصوص التقريرية للقيم المراد غرسها لدى المتعلم، والتي تتم بشكل وظيفي متعال عن المستوى الثقافي للمتعلم، وجاف وخال من كل فنية وبيانية.

بعبارة أخرى، إذا كان الأدب بشكل عام، في جوهره، حاملا لقيم حوارية حضارية وثقافية، فهل هذا يعني أن النصوص الأدبية الموجهة للمتعلم المغربي تحمل هذه السمات بالضرورة؟ بلفظ أدق، إلى أي حد يمكن اعتبار النصوص الأدبية، في الكتب المقررة، بالنظام التعليمي المغربي، نصوصا حضارية موحدة إنسانيا، ومتعددة ثقافيا، كما نص عليها الكتاب الأبيض المغربي، والميثاق الوطني للتربية والتكوين [4]، بما هي قيم تجعل المتعلم متمسكا بالتنوع والاختلاف، مع المحافظة على التماسك الاجتماعي المحلي والعالمي؟.

مقترح الدراسة

يمكن القول إن اللجنة الخاصة بالتربية والتكوين بالمغرب، من خلال تأسيسها لميثاق وطني للتربية والتكوين مع مطلع الألفية الجديدة، قد استحضرت بلا شك بعد السياسة التربوية ودورها القوي في تفعيل إصلاح النظام التربوي المغربي، ويتمثل ذلك في وضعها لصرح قيمى، قائم على التنوع والاختلاف والتكامل؛ فالى أي حد عكست هذه السياسة التربوية على مستوى تدبير القيم في الكتب المدرسية، قضية الحوار بين الحضارات والثقافات، كما هي ثابوة

2. مشكلة الدراسة

أ. أسئلة البحث

انبثقت مشكلة الدراسة من أهمية غرس قيم الحوار بين الحضارات والثقافات في نفوس الناشئة، كما يلح على ذلك الميثاق الوطني للتربية والتكوين، والمنظم الدولي ومقتضيات تربية المستقبل، والندوات والمؤتمرات المحلية والعربية، ودور الأدب بشكل خاص، في إكسابهم هذه القيم؛ إذ لا معنى لمعالجة موضوع الشخصية الحضارية والثقافية للناشئة، إذا لم تنطلق أساساً من نصوص أدبية، قادرة على التأثير في المتعلم وإقناعه وإمتاعه [3]. وعليه، فالمشكلة الأساسية التي تحاول هذه الدراسة الإجابة عنها هي:

ما مدى حضور قيم الحوار الحضاري والثقافي بجديد المنظومة القيمية بالمنهاج التربوي المغربي، من خلال نماذج من النصوص الأدبية بكتب اللغة العربية، الموجهة لمتعلم مرحلة التعليم الثانوي الإعدادي؟

ويتفرع عن هذا السؤال المركزي الأسئلة التالية:

- 1- ما قيم الحوار الحضاري والثقافي؟ وما خصائصها؟
- 2- ما المضامين القيمية الحوارية الحضارية والثقافية، التي يمكن أن تشتمل عليها النصوص الأدبية في كتب اللغة العربية بهذه المرحلة التعليمية؟
- 3- ما مدى حضور هذه المضامين القيمية في هذه النصوص، وكذا توزيعها نسقياً، من حيث غلبة أو غياب بعض القيم على الأخرى؟

ب. أهداف الدراسة

يرمي هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

- 1- توفير إطار مرجعي لقيم الحوار بين الحضارات والثقافات في علاقتها بالتربية والتنمية.
- 2- تحديد المضامين القيمية الحوارية الحضارية والثقافية، والتي يمكن أن تحتوي عليها النصوص الأدبية في كتب اللغة العربية

4. التعليمية - التعليمية، يعتمد عليها المدرس (ة) في تحقيق الأهداف المنشودة، ويستعين بها التلميذ (ة) في تحصيل المعرفة وغرس قيم الحوار الحضاري والثقافي.

5. يعد تحليل الكتب المدرسية في النظام التربوي بشكل عام، الخطوة الأولى في الحكم عليها وتقويمها، من أجل تطويرها بصورة مستمرة.

6. كتب اللغة العربية بمرحلة الثانوي الإعدادي، وسيلة تربوية مهمة في غرس القيم الحضارية والثقافية في نفوس التلاميذ المغاربة، باعتبار مدخلها الثقافي الأدبي من جهة، والرصيد المعرفي لهذه القيم، المتداولة في مادة التربية على المواطنة بها، من جهة ثانية.

7. التسليم بما ذهب إليه كل من المفكر الحضاري روجي غارودي بخصوص مداخل "وحدة الإنسانية المرتقبة"، وكذا المفكر طودوروف في كون الأدب يعد مدخلا وطريقا ملكيا لولوج "الحوار العظيم بين البشر".

موضوع الدراسة:

هذه الدراسة سنتناول بالبحث والتحليل قيم الحوار الحضاري والثقافي، المتضمنة في النصوص الأدبية في سردها الروائي والقصصي خاصة، انطلاقاً من جديد تدبير القيم بالنظام التربوي المغربي (الميثاق الوطني للتربية والتكوين، والكتاب الأبيض المغربي)، وهي منظومة من القيم الوطنية والعقدية والكونية، موجهة للنظام التربوي المغربي على مستوى أجرأته البيداغوجية للقيم، مع محاولة الوقوف على كيفية تدبيرها واشتغالها منهاجياً، في نماذج من كتب اللغة العربية المقررة بمرحلة التعليم الثانوي الإعدادي على وجه الخصوص؛ ونسقياً، من حيث حضور أو غياب بعض القيم على أخرى.

ب - إعادة النظر في الكتب المقررة حاليا بغرض تطويرها بصورة جزئية، من خلال تحليلها، وتقويمها في ضوء مجالات تصنيف قيم الحوار الحضاري والثقافي.

د. مصطلحات الدراسة:

أولاً- قيم الحوار الحضاري والثقافي:

هي مجموعة من المبادئ والمعايير المنبثقة عن المنظومة القيمية الحضارية والثقافية الإسلامية، والمنظومة القيمية الحضارية والثقافية الغربية؛ والتي يعتقد الأفراد أنها تحقق لهم مكاسب مادية ومعنوية، يؤمن بها المجتمع الإنساني، ويكتسبها الفرد، وهي المحركة لسلوكهم واتجاهاتهم.

ثانياً- تحليل محتوى النصوص الأدبية بكتب اللغة العربية

الأدب المعني به في هذه الدراسة هو كل ما يقدم للمتعلم من مادة سردية أدبية إبداعية قصصية ورائية، بصورة مكتوبة فقط، تتوفر فيها معايير الأدب الجيد، وتراعي خصائص نمو المتعلمين وحاجاتهم، وتتفق مع ميولهم واستعداداتهم، وتسهم في بناء الأطر المعرفية الثقافية، والعاطفية، والسلوكية المهارية، وصولاً إلى بناء شخصية سوية متزنة، تتأثر بالمجتمع الذي نعيش فيه، وتؤثر فيه تأثيراً إيجابياً؛ وتتشكل هذه النصوص من المكونات التالية: القصة والرواية فقط.

وعليه، يقصد بتحليل محتوى كتب اللغة العربية في هذه الدراسة، تحديد المضامين القيمية الحوارية الحضارية والثقافية الماثرة في النصوص الأدبية بتلك الكتب، تحديداً موضوعياً، يبرز مدى حضور تلك المضامين القيمية، وكيفية توزيعها كميًا.

3. الطريقة والإجراءات

أ. أداة الدراسة

اعتمد الباحث أسلوب تحليل المحتوى للكشف عن المضامين القيمية الحوارية الحضارية الماثرة في النصوص الأدبية بكتب

المقررة للمرحلة التعليمية موضوع الدراسة (استبيان)، وكذا مستوياتها التعليمية الثلاث (استمارة/شبكة) لتحليل هذه الكتب، ومعرفة ما بها من قيم حوارية حضارية وثقافية، ضمنية أو صريحة.

3- صريحة.

ج. أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة في النقاط التالية:

1- الكشف عن مدى تحول النظام التربوي المغربي كميًا ونوعيًا، على مستوى تدبير القيم الموجهة لسياسته التربوية، في راهن مساره الإصلاحية البيداغوجي.

2- وضع تصنيف إجرائي نموذجي لقيم الحوار الحضاري والثقافي، يمكن من خلاله تطوير منهاج الكتب المدرسية بشكل عام.

3- الكشف عن مدى حضور وتوافر المضامين القيمية الحوارية الحضارية والثقافية، الصريحة والضمنية في كتب اللغة العربية بالمرحلة الثانوية الإعدادية، باستخدام أسلوب تحليل المحتوى، مما يفيد في التعرف على المضامين التي تم التركيز عليها، وتلك التي تم تهميشها أو عدم ذكرها، وبالتالي العمل على تلافى هذا الخلل في التأليف مستقبلاً.

4- فتح الباب أمام دراسات أخرى، يمكن أن تضع خرائط للقيم والمضامين القيمية الحوارية الحضارية والثقافية اللازمة للتلاميذ في مراحل سلك التعليم المدرسي بالنظام التربوي المغربي.

5- وضع قائمة بالمضامين القيمية الحوارية الحضارية والثقافية اللازمة لتلاميذ سلك التعليم المدرسي، تلك التي يمكن بثها مثلاً، في كتب اللغة العربية من خلال نصوصها الأدبية، ويمكن الاستفادة من تلك القائمة في الجوانب الآتية:

أ - تأليف كتب المواد التعليمية الحاملة للقيم، ومنها كتب اللغة العربية بسلك التعليم المدرسي.

ومواطن التركيز عليها؛ لذلك فقد استعان الباحث بهذا المنهج، بما يتطلبه من توظيف لأسلوب تحليل المحتوى بغية التوصل إلى مضامين قيم الحوار الحضاري والثقافي المبنوثة في النصوص الأدبية بكتب اللغة العربية المقررة بالمرحلة الدراسية المذكورة.

ج. مجتمع وعينة البحث

يتألف مجتمع الدراسة من نماذج لكتب اللغة العربية المقررة بالمرحلة التعليمية المذكورة، بالنظام التربوي المغربي، وقد بلغ مجموع تلك الكتب ثلاثة، تحتوي على (39) موضوعا للدراسة، وهي فقط نصوص سردية أدبية إبداعية (قصصية وروائية). أما عينة الدراسة، فهي نفسها مجتمع الدراسة، وتتمثل في كتب: ("المفيد في اللغة العربية"، "مرشدي في اللغة العربية"، "الأساس في اللغة العربية"، لمستويات المرحلة التعليمية المذكورة؛ إذ يتعين على الباحث تحليل نماذج من هذه الكتب، كما سيرد تفصيل ذلك عند الحديث عن إجراءات عملية التحليل.

اللغة العربية، موضوع الدراسة، وقد تطلب هذا الأمر، إعداد أداتين هما:

1- استبيان المضامين القيمية الحوارية الحضارية: ومهمته حصر القيم الحوارية الحضارية والثقافية المناسبة للمرحلة الثانوية الإعدادية، ويمثل هذا الاستبيان (ملحق 1) الأساس الذي تبنى في ضوئه استمارة تحليل المحتوى وشبكته.

2- شبكة تحليل المحتوى (ملحق 2): التي يتم من خلالها التعرف على مدى حضور وتوافر المضامين القيمية.

الحوارية الحضارية والثقافية، في النصوص الأدبية المتضمنة في كتب اللغة العربية بهذه المرحلة الدراسية المذكورة.

ب. منهج الدراسة

يناسب هذه الدراسة المنهج التحليلي الوصفي الذي يمثل استقصاء ينصب على ظاهرة من الظواهر التعليمية، كما هي قائمة فعلاً، بقصد تشخيصها وكشف جوانبها عن طريق معدل تكراراتها،

جدول 1

كتب مدرسية مقررة	المستوى الدراسي	عدد النصوص الأدبية	النسبة المئوية لنصوص العينة
- المفيد في اللغة العربية (طبعة 2003)	الأولى	- 20 نصا	51.28 %
- مرشدي في اللغة العربية (طبعة 2005)	الثانية	- 07 نصا	17.94 %
- الأساسي في اللغة العربية (طبعة 2004)	الثالثة	- 12 نصا	30.76 %
3كتب	3مستويات	39 نصا	

خطوات تطبيق شبكة التحليل

الخطوة الأولى: تحديد الهدف من تحليل المحتوى

الكشف عن مدى حضور المضامين الحوارية الحضارية والثقافية في النصوص الأدبية بنماذج من كتب اللغة العربية المقررة بالتعليم الثانوي الإعدادي.

التعرف على الكيفية التي يتم بها توزيع تلك المضامين في المستوى المذكور، من حيث حضور أو غياب تكراراتها.

الخطوة الثانية: تحديد عينة تحليل المحتوى

وهي مجموعة من كتب اللغة العربية المقررة (ثلاثة كتب)، مختلفة المستويات، ومتنوعة العناوين، اشتملت على 39 موضوعا.

يلاحظ من الجدول أعلاه أن عدد دروس/ نصوص مجتمع الدراسة (39) درسا، منها (20) درسا للمستوى الأولي ثانوي إعدادي، و(07) درسا للمستوى الثانية من نفس المرحلة التعليمية، و(12) درسا بالنسبة لمستوى الثالثة منها؛ وقد تراوحت نسب عينة الدراسة بين 17.94% و 51.28% من مجتمع الدراسة.

وقد تنوعت النصوص الأدبية في الكتب المقررة للغة العربية على متعلمي هذه المرحلة ما بين نصوص أدبية إسلامية، ونصوص أدبية غير إسلامية.

الخطوة الثالثة: تحديد وحدة تحليل المحتوى

اعتماد المنهج الوصفي الكمي، يقتضي الاشتغال على وحدات تحليل المحتوى وهي: الكلمة، الموضوع، الجملة، الفكرة، الشخصية... وقد اعتمد الباحث في هذه الدراسة الكلمة والجملة؛ حيث تمت أجراء عملية التحليل وفق الشكل التالي:

1- قراءة كل موضوع/نص أدبي، لتحديد المضامين القيمية الحوارية الحضارية والثقافية، المشتمل عليها تصريحاً أو تلميحاً، مع رصد مرات تكرارهما في النص/موضوع الدراسة، (ينظر جدول 1 / ملحق 2).

2- جمع تكرارات كل مضمون قيمي حوارى حضاري وثقافي، عبر جميع المواضيع/النصوص الأدبية المقرر دراستها، ثم حساب النسب المئوية لما يمثله كل مضمون بالقياس إلى مجموع المضامين الواردة في الكتب موضوع التحليل (ينظر جدول 2/ ملحق).

د. صدق الأداة:

تم التحقق من صدق محتوى الأداة عن طريق عرضها على مجموعة من المحكمين، من أساتذة كلية علوم التربية بجامعة محمد الخامس، وأساتذة اللغة العربية بمراكز جهوية للتربية والتكوين (أكاديمية مراكش - تانسيفت الحوز)، ومفتشين تربويين لمادة اللغة العربية بالثانوي الإعدادي والتأهيلي (أكاديمية تادلة - أزيفال)؛ حيث طلب منهم إبداء الرأي في فقرات المقياس، من حيث دلالاته اللغوية والمعنوية، وقدرة الأداة على قياس مجالات قيم الحوار الحضاري والثقافي، ورصدت آراؤهم وملحوظاتهم وتم الأخذ بها.

هـ. حدود الدراسة:

تقف حدود هذه الدراسة عند الآتي:

1- تحليل نصوص سردية أدبية في جانبها القصصي والروائي، في عينة من كتب اللغة العربية المقررة بمرحلة التعليم الثانوي الإعدادي، بما في ذلك النصوص السردية الأدبية الإسلامية دون التطرق إلى نصوص القرآن الكريم والحديث

الشريف؛ الممررة لغويا ديداكتيكيا من خلال نصوصها:

الوظيفية، والتطبيقية، والمسترسلة، والتعبير والإنشاء.

2- تحليل محتويات هذه النصوص بهذه الكتب، دون التطرق

لمكونات النصوص الأدبية الأخرى (المقالة، الشعر،

المسرحية، الخطبة، الرسالة، الوصية، الخاطرة، أدب

الرحلة، أدب السيرة) وكذا كتب دراسة المؤلفات الموازية.

3- التطرق إلى التعليم المدرسي الثانوي الإعدادي دون الثانوي

التأهيلي.

4- حدود دائرة الحوار الحضاري والثقافي على وجه التغليب؛

أي، بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية.

4. النتائج

عرض نتائج السؤال الأول:

نص هذا السؤال على: ما قيم الحوار الحضاري والثقافي؟ وما

خصائصها؟.

وجد الباحث أن مسألة الحوار الحضاري والثقافي، هي مسألة

التفاعل الإنساني والثقافي بين أتباع الحضارات والثقافات المختلفة،

وإن مسألة قيم هذا الحوار، هي مسألة التقائها، أساسه "العولمة

الثقافية" أو العولمة المتبادلة [6]، تلك العولمة التي لا تسوي بين

الثقافات، وإنما تجمع بينها على المشترك الإنساني الكوني؛

باعتبار القيم هي "تفضيلات جماعية يمكن اقتسامها، أو عدم

اقتسامها من طرف أشخاص، ومجموعات اجتماعية" [7]، ثم أنه

من "منطلق المبادئ الأساسية للحوار" [8] حيث مبدأ "فحص أوجه

الشبه والاختلاف" يمكن الحديث أيضاً، عن قيم حوارية حضارية

وثقافية مشتركة، تهدف إلى تغيير النظرة الاستعدادية

والاستعدادية [9]، والتخلي عن التصنيف النمطي المتوارث من

مخلفات الماضي، والمشاركة في التأسيس لرؤية مستقبلية لمشروع

الوحدة الإنسانية المرتقبة بتعبير [2].

وحضارة مبنية أساساً على نفي الآخر، وإن كان لا يكل من رفع شعارات المساواة والإنصاف والعدل بين البشر. ولعل ما يدل على إمكانية هذا الحوار، اختيار الكتاب الأبيض الأوربي لحوارات الثقافات (2007) مبادئ واضحة المرجعية، يمكن القول أن الأساس العلماني فيها بادي للعيان، حيث غياب دور الدين في تفعيل هذا الخطاب الحوارية. من هنا يمكن فهم طبيعة مرتكزات الكتاب الأبيض المغربي وثوابته القيمية التي نص عليها؛ حيث الدين ممثلاً في قيمه العقديّة إلى جانب تلك القيم التي نص عليها الكتاب الأبيض الأوربي.

من خلال ما سبق، يمكن القول إن قيم الحوار الحضاري والثقافي تتميز بكونها:

- 1- قيم متداولة بين الهويات الحضارية والثقافية الأساسية المختلفة؛ أي، قيم ذات صبغة جماعية.
- 2- قيم ذات دلالة تشاركية على مستوى بنيتها الصرفية/"تفاعل"؛ ومنها قيم: التسامح، التضامن، التواصل،....
- 3- قيم ذات لغة عالمية يمكن لأي فرد أن يفهمها ويربطها بذاته.
- 4- قيم لها صفة العالمية، والكونية، بحيث تسمو على الاختلافات الحضارية والثقافية التضادية، وتخدم المصالح العليا للإنسانية.
- 5- قيم تربوية ذات أبعاد تعليمية جديدة "تعلم لتشارك"، "تعلم العيش معاً" ترتقي بالمتعلم من مستوى وجوده الإنساني، إلى مستوى الشهود والتحالف الحضاري.

وعليه، يمكن القول إن قيم الحوار الحضاري والثقافي، باستحضار المنظومة القيمية الإسلامية، هي تلك المرتكزات التي تقوم عليها الحياة والعيش المشترك، كما حددها الوحي والعقل البشري الرشيد، في علاقة الإنسان بنفسه ومحيطه وخالفه، فهي قيم إنسانية موجّهة بالفطرة البشرية، محرّكة للتدافع والتحاوّر والتعارف الحضاري [15]؛ وهي بذلك تختلف عن تعريف القيم الإسلامية في تناولها المطلق [16]، من حيث كون هذه الأخيرة

بعبارة أخرى، نتحدث عن القيم الحوارية الحضارية والثقافية، من زاوية التفاعل بين الأنا/ والآخر، بوصفهما مخالفين حضاريين وثقافيين أساسياً؛ حيث الشعوب تتطلع إلى التعارف والتفاعل فيما بينها بمحض إرادتها، وليس من باب الثقافة العليا، التي تتحكم فيها إرادة الهيمنة والمصالح الأحادية الجانب [10]؛ وذلك" من أجل تعزيز قيم الحوار الثقافي والحضاري، ونشر ثقافة السلام العادل، لا السلام الخادع المفروض قسراً على الشعوب المحتلة المضطهدة" [11].

وبالتالي، فقيم الحوار الحضاري والثقافي، هي قيم حاتّة على الحوار، جالبة له، نابذة للصرع، دارئة له؛ جالبة لفكرة الاختلاف والتعدد، دارئة لفكرة التسلط والاستبداد الحضاري، بتعبير المفكر المنجزة [12] ؛ هدفها إرادة تحقيق التحالف بين الحضارات، والاختلاف التنوعي لا التضادي بين الثقافات [13]. أي، أنها قيم موجّهة؛ بحيث لن يستقيم حوار الحضارات والثقافات، إلا عندما يكون هذا الحوار نفسه موجّهًا؛ وكلمة التوجيه على حد تعبير "ليفيناس" أنه إذا كان هذا العالم متحرراً من الغرب، ومن الاستعمار، فإنه أيضاً عالم تائه، لكونه أصبح مسرحاً ل" هرج ثقافات عدة لا ترى كل واحدة منها نفسها، إلا في سياقها الخاص" والحال أن القيم الإنسانية المشتركة، ومنها الحقوق الإنسانية، هي ما يحول دون أن تكون الثقافات جزراً منغلقة على نفسها" [14].

أما خصائص قيم الحوار الحضاري والثقافي، فيبدو -حسب الباحث- أن هناك صعوبات حقيقية في إيجاد أرضية ومبادئ عامة لحوار ثقافي وحضاري، يقبلها الجميع ويقنع بها، لأن لكل واحد، منظومته الثقافية والحضارية الخاصة، وهذه المنظومة لها مرجعيات محددة. لهذا، وإقامة حوار بين الثقافات، يتطلب منا وقفة متأنية لقراءة ذاتنا (العربية/ الإسلامية) وكذا الذات الأخرى (الغرب)، لأن الغربي، والذي يدعو إلى مبادئ كونية، هو نفسه يعيش سجين خصوصياته الثقافية التي تقصي الآخر وتعجز على الانفتاح عليه، لأن لديه عقدة التفوق على الآخر، ولأنها ثقافة

الصدق، تقدير العلم والمعرفة، تقدير التكنولوجيا، نسبية الحقيقة، تقدير الطبيعة، تقدير الرياضة، الشكر، النظافة، إتقان العمل، الفناعة، الأمانة، العفو، الانفتاح.

عرض نتائج السؤال الثالث:

نص هذا السؤال على: ما مدى توافر المضامين القيمية الحوارية الحضارية والثقافية بكتب اللغة العربية من خلال نصوصها الأدبية الموجهة لتلميذ مرحلة الثانوي الإعدادي؛ من حيث مدى غياب أو حضور بعض القيم على الأخرى؟.

للإجابة عن هذا السؤال قام الباحث بإعداد شبكة لتحليل محتوى كتب اللغة العربية، في ضوء استبيان المضامين الحوارية الحضارية والثقافية، التي تم إعدادها سابقاً، ثم عكف على تحليل النصوص الأدبية بنماذج من كتب اللغة العربية المقررة على تلاميذ المستويات الثلاثة من المرحلة الإعدادية، وبعد رصد البيانات التي توافرت لدى الباحث، وتحليلها إحصائياً، توصل إلى النتائج التالية (ملحق 3):

1- لم تشمل كتب اللغة العربية التي تم تحليلها على جميع المضامين الحوارية الحضارية والثقافية التي رأى المتخصصون أهمية إكسابها لتلميذ مرحلة التعليم الثانوي الإعدادي، مما اشتملت عليه استمارة التحليل، بيد أن تكراراتها ودرجة توافرها اختلفت من مستوى دراسي لآخر، ومن كتاب إلى آخر، ومن قيمة لأخرى، كما سنقف على ذلك بشكل تفصيلي عند الحديث عن كل كتاب على حدة.

2- بلغ مجموع تكرارات المضامين القيمية الحوارية الحضارية والثقافية في الكتب التي تم تحليلها (90) مرة؛ وهذا تكرار متواضع جداً لهذه المضامين.

3- حظي كتاب المفيد في اللغة العربية بالمستوى الأولي ثانوي إعدادي بأكبر قدر من تكرارات المضامين من بين الكتب الأخرى موضوع الدراسة، حيث تكررت المضامين القيمية الحوارية والحضارية فيه (56) مرة، ممثلاً بـ (20) نصاً، تلاها

موجهة بالتشريع الإسلامي، والذي يمنح بموجبه هوية الشخصية الإسلامية لها، كمكون من مكونات الاختلاف البشري.

عرض نتائج السؤال الثاني:

نص هذا السؤال على: ما المضامين القيمية الحوارية الحضارية والثقافية، التي يمكن أن تشتمل عليها النصوص السردية الأدبية في كتب اللغة العربية بهذه المرحلة التعليمية؟

وفي سبيل الإجابة عن هذا السؤال، قام الباحث بإنجاز استبيان معتمداً على أربعة مصادر أساسية، وهي:

1- الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع القيم.

2- الأدبيات التربوية المتعلقة بموضوع قيم الحوار الحضاري والثقافي.

3- أهداف تعليم اللغة العربية بمرحلة التعليم الثانوي الإعدادي.

4- دور الأدب في التأسيس للوحدة الإنسانية.

وقد تم عرض ذلك الاستبيان على مجموعة من المتخصصين والمهتمين بالشأن التربوي والقيمي، بهدف التعرف على مدى مناسبة المضامين القيمية الحوارية الحضارية والثقافية لتلاميذ تلك المرحلة، وانتقاء المناسب منها، وبعد رصد الاستجابات وتحليلها إحصائياً تم التوصل إلى:

قائمة بالمضامين القيمية الحوارية الحضارية والثقافية اللازمة لكتب اللغة العربية بالمستويات الثلاثة من المرحلة التعليمية المذكورة، حيث اشتملت تلك القائمة على 54 مضموناً حوارياً حضارياً وثقافياً، وبيانها على النحو التالي: الإيمان، التأخي، العدل، التسامح، التعارف، الانفتاح، التعايش، التفاهم، تقدير الآخرين، التعاون، التضامن، التواصل، الإنصات، الصداقة، التضحية، التراحم، تبخيس الظلم، المواطنة، الديمقراطية، تقدير الاختلاف، تقدير الهوية، المقاومة، المساواة، تقدير الحياة، تقدير الحرية، الكرامة، احترام المعتقد، السلم، تقدير الجمال، تقدير العمل، المروءة، الصبر، الإحسان، المجادلة الحسنة، التواضع، صلة الرحم، زيارة المريض، الاستقامة، الشجاعة، الوفاء، الكرم،

الإسلامية لها تصورها المتميز في الشأن الحوارية والتواصل البشري الإيجابي. لأنه مهما يكن من توصيات دولية بشأن ضرورة غرس هذه القيم في الناشئة، فلا بد، إضافة إلى الرقابة الخارجية، من الارتباط تربويا بالرقابة الذاتية النابعة من الجانب الروحي والعقدي.

3- الأدب بما أنه يمثل الوضع الطبيعي للمشارك الإنساني، من خلال سرده القصصي والروائي، ينبغي بالتالي، قلب معهود تعليم الأدب، بأن يصير غاية وليس وسيلة، حيث تمرير أدوات المناهج على حساب المتن الأدبي.

4- ضرورة انتقاء نصوص سردية أدبية تتجاوز ما يرهن المتعلم المغربي في قالب هوياتي محض.

5- الاستفادة من نتائج الدراسة الحالية وتوظيفها في الكشف عن اهتمامات وميول واتجاهات كتاب النصوص الأدبية الموجهة للمتعلم، وتوجيهها توجيهها تربويا وتعليميا صحيحا، يواكب راهن مستجدات الشأن الإنساني.

6- ضرورة أخذ النصوص الأدبية بعين الاعتبار تحولات الرواية العربية، وتمكنها من استيعاب النصوص الروائية العالمية، من حيث قدرتها على تناول موضوعات تتعلق مع منتجات الحضارة الإنسانية؛ كالاستفادة مثلا من نصوص رواية "آدم جديد" وغيرها، باعتبار تمثلها لفكرة التقارب بين الجنس البشري الواحد، وتأسيس حضارة كونية إيجابية.

7- إمكانية تناول مقارنة قيم الحوار الحضاري والثقافي من خلال خطابات أخرى غير الخطاب الأدبي، من حيث توافر الأطر الفكرية أو الأطر الحديثة، ومعرفة ما المهيمن فيه.

8- إمكانية توسيع تناول هذه القيم بالدراسة والتحليل من خلال قضية تباعد الثقافات والحضارات، وليس فقط من خلال تقاربها، كما هو موضوع الدراسة الحالية.

9- ضرورة توسيع هذا التحليل القيمي ليشمل باقي المراحل الدراسية، وكذا المواد الدراسية الحاملة للقيم.

مرشدي في اللغة العربية بتكرارات بلغت (26) مرة، ممثلا بـ (07) نصوص، ثم الأساس (08) مرة، بـ (12) نصوص.

4- يوجد تدرج معكوس في تقديم هذه المضامين لتلاميذ المستويات الثلاث من هذه المرحلة التعليمية؛ فقد بدئ بالمستوى الأولي بإعدادي بمضامين ذات تكرارات مضاعفة تقريبا (56) مرة، مقارنة والمستوى الثانية (26)، بينما الثالثة عرفت (08) قيم، أي، بتكرارات أقل بثلاث مرات من الثانية، وسبع مرات من الأولى.

5- يوجد عدم توازن في تقديم المضامين القيمية الحوارية الحضارية والثقافية لتلاميذ المستويات الثلاثة موضوع الدراسة؛ ففي حين تكرر -على سبيل المثال- كل مضمون من المضامين الثلاثة: الإيمان، تقدير العلم والمعرفة، تقدير العمل، أكثر من 20 مرة، نجد أن مضامين أخرى مثل: التسامح، التعايش، التراحم، لم يصل تكرار الواحد منها أكثر من مرة واحدة، ناهيك عن مضامين أخرى لم تذكر إطلاقا رغم أهميتها الحوارية (التفاهم، المجادلة الحسنة، التأخي، التضحية، تبخيس الظلم، تقدير الهوية، احترام المعتقد، تقدير الرياضة، إتقان العمل، الانفتاح).

6- يمكن القول إن نتائج هذه الدراسة تتفق ودراسة الفيصل [17]، في كون النصوص الأدبية الموجهة للمتعلم المغربي، ليست موحدة إنسانيا، بما تتضمن من قيم للحوار الحضاري والثقافي، كما هي بالنسبة للمتعلم العربي على مستوى الوحدة العربية.

5. التوصيات

1- ضرورة العمل على إيجاد أدب وحدوي إنساني، لتنمية الشخصية الحضارية والثقافية للمتعلم المغربي.

2- ضرورة فتح قسم للتربية الإسلامية في كلية علوم التربية بالرباط، للمساهمة في تطوير الأبحاث المتعلقة بالقيم الروحية، انطلاقا من بعدها الحضاري الديني، سيما وأن الحضارة

[9] أيت أحمد، مريم. (2011). جدلية الحوار، قراءة في الخطاب الإسلامي المعاصر، منشورات علوم التربية، العدد 23، الطبعة الأولى، ص:78.

[10] بن العزيمة، علاء. (2011). أطروحات الصراع والتناقض في زمن العولمة، صراع الحضارات والثقافات والقيم، منشورات عالم التربية، الطبعة الأولى، ص/42.

[11] التويجري، عبد العزيز بن عثمان. المدير العام للإيسيسكو، في افتتاح منتدى باكو الدولي الإنساني "احترام التنوع الثقافي لتعزيز الحوار بين الثقافات والحضارات"، باكو www.isesco.org.ma/index.php.04/10/2012

[12] غريب، عبد الكريم " (2007) حوار مع المهدي المنجرة"، مجلة عالم التربية، العدد 17، الطبعة الأولى، ص:26، محور العدد: حوار الحضارات والثقافات.

[13] القباج، محمد مصطفى. (2002). التربية والثقافة في زمن العولمة، المعرفة للجميع، 24، ص:158، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

[14] ديان، سليمان بشير. (2009). "تقارب الثقافات في مجال حقوق الإنسان" ص:18، ضمن كتاب: صراع الحضارات أم حوارها، إشكالية البديل؟ سلسلة حوار الضفتين، الدار البيضاء

[15] الخطيب، محمد عبد الفتاح. (2011). القيم الحضارية في الإسلام، نحو حادثة إنسانية جديدة، دار البصائر، ط1، ص:48.

[16] الصمدي، خالد. (2008) القيم الإسلامية في المنظومة التربوية، دراسة للقيم الإسلامية وآليات تعزيزها، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو.

[17] الفيصل، سمر روجي. (1998). أدب الأطفال وثقافتهم، قراءة نقدية، منشورات اتحاد الكتاب العرب.

المراجع

[1] ينظر، " الكتاب الأبيض الأوربي في الحوار بين الثقافات"، الذي تأسس في أكتوبر 2007، وكذلك الإعلان النهائي للندوة الأوروبية حول "البعد الديني للحوار بين الثقافات"، سان مارين، 23 و 24 أبريل 2007 متوفر على الموقع: www.coe.int/dialogue

[2] جارودي، روجي. (1998). فوضى النظام العالمي الجديد، مجلة الفرقان عدد 41، ص:9-17.

[3] طودوروف، تزفيتان. (2007). الأدب في خطر، ترجمة عبد الكبير الشرفاوي، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، ص/55.

[4] الميثاق الوطني للتربية والتكوين، (2000). وزارة التربية الوطنية، المغرب .

[5] بريك، صالح. (2010). الكره أو اللاتسامح مع الآخر منظور نفسي-اجتماعي، خطوات للنشر والتوزيع، ص:185. (ماكارييف بلامين، أستاذ في مركز اللغات والثقافات الشرقية التابع لجامعة صوفيا، بلغاريا).

[6] بيريزيا، سيزار. (2000). المواطنة الديمقراطية، تربية متواصلة مدى الحياة، تقرير مجلس التعاون الثقافي الأوربي، ستراسبورغ، ص:10.

[7] بورقية، رحمة. وآخرون، (2006) التقرير التركيبي للبحث الوطني حول القيم، 50 سنة من التنمية البشرية، RDH50 الرباط ،ص10.

[8] أبو نمر، محمد" (2011). معجزات التغيير عبر حوار الأديان"، ضمن كتاب: حوار الأديان وبناء السلام، تحرير دافيد ر. سموك، ترجمة نادية خيرى، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، القاهرة، الطبعة الأولى ، ص:20.

AN ANALYTIC STUDY OF THE CONTENTS OF THE VALUES OF DIALOGUE, CIVILIZATION AND CULTURE IN ARABIC TEXTBOOKS AT THE SECONDARY SCHOOL STAGE IN MOROCCO

Omar Bychou

Faculty of Education Sciences - Rabat

University of Mohamed V - Souissi

Abstract_ The study aimed at defining the contents of the values of the civilized and the cultural dialogue that the books of Arabic in the literary narratives of the three levels of the secondary school in the Moroccan educational system. It is concerned with the analysis of the literary narratives in these three levels with the aim of showing the degree of the conversational, civilized and cultural values of these contents. The research uses an analytical of the content which takes into consideration two procedures: First, it tries to show the contents of the values of dialogue, civilization and culture in a way that restricts the necessary purports of the students, second, the paper sets to list the analysis of the content which was analyzing the literary narratives in the books of Arabic in Morocco. The paper, thus, reached four results: One, a list with the contents of the values of dialogue, civilization and culture which necessary for the students of the three levels of the secondary school in Morocco, including fifty four contents of the values of dialogue, civilization and culture. Two, some of the literary texts in some examples of the books of Arabic consist of some of the contents of the values of dialogue, civilization and culture that appeared in the list, while others were absents although their presence differed from one level to another and from one book to another. Three, the total of repeating the contents of the values of dialogue, civilization and culture in the material under scrutiny reached ninety times. Four, an inverted progress appears when presenting the contents of the values of dialogue, civilization and culture whenever we shift from a level to another, but this contradicted the management of the curriculum designed by the experts.

Keywords: Values of the civilized and the cultural dialog , Literary narratives, Moroccan educational system.